الفصل الثاني

في بعض أحوال الآخرة

قال: وَوَاقِعٌ كُلُّ مَا نَصَّ الصَّدُوقُ بِـهِ مِـنْ مُمْكِـنٍ كَصِـرَاطٍ أَوْ كَمِيـزَانِ

أقول : لما فرغ عن بيان إمكان الحشر شرع في إثبات وقوعه وسائر ما يتعلق به من الصراط والميزان والحساب وأهوال القيامة إلى غير ذلك . ودليل الكل[1] أنها أمور ممكنة ، أخبر بها الصادق فتكون[2] واقعة ، والتصديق بها واجبا .

* * *

المبحث الأول

في إمكان الحشر

أما إمكان الحشر فلما مر من جوابه في[3] إعادة[4] المعدوم ولا شك في أن[5] الأجزاء المتفرقة المختلطة بعضها لبعض قابلة لنوع[6] ما من الجمع وإعادة الأرواح إليها . وأما إمكان غيره فظاهر ولهذا لم يتعرض به المحقق . وأما الإخبار فلما تواتر من الأنبياء القول بحشر الأبدان وما يتعلق به ، وقد وقع في مواضع من الفرقان وكلام نبينا بحيث لا يقبل التأويل بل التحق[7] بالضروريات من الدين ، فتأويلها بالمعاد الروحاني فقط جور وخروج عن القانون مكابرة وعنادا .

* * *

---

(١) أ: وذلك ، بدلا من دليل الكل .
(٢) أ ، ز: فيكون .
(٣) ز: بدون (في) .
(٤) ز: الإعادة .
(٥) أ: أن في .
(٦) ز: للنوع .
(٧) ز: التحقق .

المبحث الثاني

في الصراط والميزان

والصراط[1] جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف كما ورد في الحديث[2] . وأنكره المعتزلة لأنه لا[3] يمكن العبور عليه ، ولوسلم ففيه تعذيب لصالح المؤمنين ، ولا تعذيب لهم يوم القيامة . فالمراد به طريق الجنة والسعير على[4] ما يشير إليه قوله تعالى ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ (محمد:٥) [5] وقوله ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (الصافات:٢٣) . وقيل[6] المراد به الأدلة الواضحة ، وقيل أريد به العبادات كالصوم والصلاة ، وقيل الأعمال الردية التي يسأل عنها كأنه يمر عليها ويطول المرور عليها بكثرتها ويقصر بقلتها .

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين: ١٦٤/٢ .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، من حديث أنس . وروي عن زياد والنميري عن أنس مرفوعا «الصراط كحد الشعرة - أو كحد السيف» وقال وهي رواية صحيحة . أضاف الإمام اللقاني في شرحه على كتابه جوهرة التوحيد (مخطوطة ورقة: ١٢٣) الاستدلال بالآية ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ (يس:٦٦) . ثم انظر نفس المرجع (ورقة ١٢٤ ، ١٢٥) عرض اللقاني رحمه الله ما جرى من خلاف بين بعض أهل السنة مثل القرافي والعز بن عبد السلام والقرطبي في كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف ورد وعدم كونه كذلك .

(٣) ز: بدون (لا) .

(٤) أ ، ز: بدون (على) ، وما أثبته من «ص» .

(٥) سورة محمد: ٥ ، أول ق ٦٠ في أ .

(٦) يفهم من شرح الأصول الخمسة (٧٣٥ وما بعدها) أن القائلين به هم بعض مشائخ المعتزلة .

والجواب منع[1] ذلك بل هو ممكن كالمشي على الماء والطيران في الهواء بطريق خرق العادة ، ويُسهِّل الله تعالى المرورَ على عباده الصالحين . فمنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف ومنهم من يمر عليه كالخيول[2] الجواد كما ورد في الحديث[3] .

وأما الميزان [4] فالمراد به الحقيقي الذي له كفتان وساقان ولسان ؛ عملا بالحقيقة لإمكانه ، وقد جاء في الحديث تفسيره بذلك . وأنكره بعض أهل الاعتزال[5] لأن الأعمال أعراض لا يمكن وزنها ولو سلم فعبث لافائدة فيه ، بل المراد به العدل الثابت في كل شيء كما يشعر به ذكره في القرآن بلفظ الجمع ، وقيل المراد به المشاعر الظاهرة والعقل .

والجواب أن الذي يوزن هو الصحايف التي يكتب فيها[6] مقادير الأعمال وعلى تقدير اشتمال أفعال الله تعالى على الأغراض[7] والحكم والمصالح لعل فيه حكما

---

(١) أول ق ٧١ في ز .

(٢) ز: بدون (الخيول) .

(٣) أخرج ما في هذا الأمر الترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة مريم عن ابن مسعود : ٣١٧/٥ ، رقم (٣١٥٩) ، والدارمي في سننه ، كتاب الرقاق ، باب ورود النار ، عن ابن مسعود: ٤٢٤/٢ .

(٤) انظر فيه مقالات الإسلاميين: ١٦٤/٢ ، ١٦٥ .

(٥) عبارة الأبكار (٣٤٥/٤): «وأنكره المعتزلة . لكن منهم من أحاله عقلا ، ومنهم من جوزه عقلا ، وإن لم يقض بثبوته كالعلاف وبشر بن المعتمر» . وابن حزم الظاهري أيضا ينكر الميزان بهذا التفسير؛ فهو يقول (الفصل: ٤٣٧/١) ردا على من يقول بـ «أن ذلك الميزان ذو كفتين فإنما قاله قياساً على موازين الدنيا وقد أخطأ في قياسه إذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرطسون» . وكلام ابن حزم هذا يرى ــ في بادئ النظر ــ أنه من النفاسة بمكان ، إلا أنه كلام ساقط؛ أولا لورود الحديث بتفسير الميزان كما فسره أهل السنة وقد أشار إليه الخيالي هنـ ، وثانيا لمخالفته قانون تفسير النصوص ، إذ هي لا تفسر إلا بالمعنى المتعارف في عهد نزولها لا بالمعنى المستحدث فيما بعد ، فإن كثيرا من الألفاظ قد أطلقت على معان جديدة لم تكن معروفة في عهد نزول الوحي فلا يصح حملها على تلك المعاني المستحدثة سيما إذا تعارضت مع نصوص أخرى .

(٦) أ ، ز: فيه ، وما أثبته من «ص» .

(٧) ز: بدون (على) ، أ: بالأغراض .

ومصالح لا تحصى كظهور مراتب أهل الكمال وفضايح أصحاب النقصان على رؤوس الأشهاد وزيادة مسرة في الأولين وآلام[1] في الآخرين ، وكالترغيب في الحسنات والترهيب عن السيئات . وقد يجاب بأنه قد يجعل الأعمال الحسنة أجساما نورانية والسيئات أجساما ظلمانية فيوزن ، وفيه نظر[2] .

* * *

المبحث الثالث

في الحساب وأهوال القيامة والحوض الكوثر

قال: وَكَالْحِسَابِ وَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ أَوْ كَحَوْضِ سَيِّدِنَا فِيهَا وَكِيزَانِ

أقول: أما الحساب فلقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(آل عمران:١٩٩)[3] وقوله ﷺ «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[4] . وأما أهوال القيامة فكثيرة .منها هول[5] الوقوف ، قيل ألف سنة ، وقيل خمسون ألف سنة . ويدل عليه قوله تعالى ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (الصافات:٢٤).

---

(١) ز: والآمر .

(٢) يقول الشيخ عثمان الكليسي عن قول الخيالي هذا: «لعل وجه النظر لزوم قلب الحقائق أي قلب الأعراض أجساما ، وهو محال . وأجيب بأن الله سبحانه وتعالى يخلق أجساما على عدد تلك الأعمال ويجعلها في مقابلتها وعوضا عنها من غير تغيير لتلك الأعراض عن العرضية». انظر خير القلائد شرح جواهر العقائد للشيخ عثمان الكليسي: ١٣٧ وفي كلام الباجوري أيضا نفس هذا الجواب . انظر حاشية الباجوري على الجوهرة: ٢٩٣، ويوهم هذا الصنيع من الكليسي والباجوري ـ وربما من الخيالي ـ أن هذا الجواب من مذهب الأشعري ، إلا أن ابن فورك ينفي أن يكون هذا الجواب من مذهب الأشعري ؛ بل قال «إنما هو ـ هذا الجواب ـ مذهب بعض النجارية». انظر مجرد مقالات الشيخ الأشعري لابن فورك: ١٧٧.

(٣) سورة آل عمران: ١٩٩ ، سورة المائدة: ٤ ، سورة إبراهيم: ٥١ ، سورة غافر: ١٧ .

(٤) لم أقف عليه مرفوعا بل هو أثر عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أورده ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس: ٢ .

(٥) أ: هو .

ومنها هول[1] تطاير الكتب ، قال الله تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ (الإسراء:١٣) . ومنها هول السؤال بقوله تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الحجر:٩٢) .

ومنها هول شهادة الأيدي والأرجل[2] والسمع والبصر والأرض والليل والحفظة الكرام بقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النور:٢٤) وقوله تعالى ﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم ﴾ (فصلت:٢٠) وقوله ﷺ «ما من يوم وليلة يأتي على ابن آدم إلا قال أنا ليل جديد وأنا فيما تفعل في شهيد» وكذا اليوم ، وقوله تعالى ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (ق:٢١) .

ومنها هول[3] تغير الألوان لقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (آل عمران:١٠٦). ومنها هول النداء بالسعادة والشقاوة كما ورد في الحديث . وأما حوض النبي ﷺ فقد دل عليه وعلى بيان مقداره وكيفيته وكثرة كيزانه قوله ﷺ «حوضي مسيرة شهر ، زواياه سواء ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه أكثر من نجوم السماء ، من شرب منه فلا يظمأ أبدا»[4] .

* * *

---

(١) ز: هو .

(٢) أ: بدون (الأرجل) .

(٣) أ: هو .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب في الحوض ، عن عبد الله بن عمر: ١١/٤٦٣ ، رقم ٦٥٧٩.